من أين جاء الكرد إلى أسيا الوسطى؟

بعد نجاح الثورة البلشفية في روسيا جرى تنظيم وترتيب آخر لشعوب الإمبراطورية ومن ضمنها كان النظر إلى وضع الشعب الكردي القاطن على أرضه هناك. فتم اقتراح مشروع الإعلان عن كردستان الحمراء في عهد لينين. وبالفعل بدأ بالمشروع وتم تعين المناطق التابعة لها، غير أنها ذهبت ضحية الاتفاق الموقع بين جوزيف ستالين والحكومة الكمالية في تركيا. فبموجب تلك الاتفاقية تم القضاء بشكل تدريجي على كردستان الحمراء. لم يقف مفعول تلك الاتفاقية بسحب الاعتراف عنها فحسب، بل عملت على تهجير الكرد من أراضيهم قسرا، حتى يفقدوا حقهم الشرعي في ملكية تلك الأراضي. فحدث أن كانت أول هجرة قسرية في عام ١٩٣٧م، وكانوا يطلقون على أبناء وأحفاد أولئك المهجرين وقتها بالمهجرين قسرا.

عندما نستمع إلى معاناتهم أثناء الهجرة نجدهم قد شحنوا في عربات القطارات المخصصة للمواشي، ولم يكن هناك تميز بينهم وبين المواشي المشحونة معهم من حيث التعامل. فكانوا هم والمواشي نزلاء في عربة واحدة، إن دل هذا على شيء؛ إنما يدل أن أولئك الكرد قد اعتبروا مواشي لا أكثر في ظل الستالينية. هجروا في فصل الشتاء؛ حيث الثلوج والصقيع القاتل، مات العديد منهم أثناء عملية الشحن. لم يكن معلوما للمشحنين إلى أين يشحنون، والأمر من هذا أنهم لم يبلغوا عن موتاهم أثناء الشحن من أجل دفنهم، لكون السلطات الستالينية كانت ستلقى بجثثهم في الأنهار أو في العراء على الثلج لتكون غذاء للذئاب والوحوش، وهذا ما يخالف العقيدة الدينية والأعراف والتقاليد الكردية. هذه الحالة النفسية التي رافقت المشحنين كانت أشد قسوة عليهم. يقولون: هل يملك المرء صوابه عندما يرى عزيزا عليه قد فارق الحياة أمام ناظريه ولا يستطيع دفنه بما يليق به، والأسوأ منه أن يرى جثته تتفسخ أمام ناظريه وتزكم رائحتها أنفه. يقولون هذا والدموع تنهمر من أعينهم وتتغير ألوان وجوههم. حقا إنها لمأساة لا يتصورها بني البشر.

بعد وصولهم إلى صحراء آسيا الوسطى، و تحديداً في بقعة أرض تدعى **كاسكه بولاك**، وفيما بعد سميت بقرية كاسكة بولاك، التي كانت خالية تماماً من البشر، يتذكرون ذلك بأنها كانت أرضا صحراوية مقفرة تغطيها الثلوج. بعد وصولنا بيوم جلبوا لنا بعضا من الخيم. فكانت كل خيمة لعشرة أشخاص لم تكن واقية ضد البرد. (تصوروا!) كان الأطفال والنساء يسكنون معا؛ بينما الرجال في خيم منفصلة، هكذا تفرقت العائلات وتحولت إلى مجموعات أطفال ونساء لوحدهم والرجال لوحدهم. يروي لنا الأكاديمي **نادر كريموفيتش نادروف**: كنت صغيراً آنذاك ولم أتجاوز الخمس سنوات فكنت اسكن مع والدتي في الخيمة ومع نساء وأطفال آخرين. عندما حل الربيع بنينا بعضا من البيوت من اللبن. بعدها بدأنا نشعر بدفء الحرارة وصارت آثار الحزن والألم تتلاشى شيئا فشيئا عن ملامح وجهنا.

في إحدى ليالي شهر نيسان وصلت إلى تجمعنا السكني سيارات عسكرية فاختبأ رجالنا في الوديان خوفا منهم، غير أنهم أعلمونا بأن مجيئهم هو بأمر من القيادة في موسكو وسببه هو أخذ كل من بلغ الثامنة عشر وما فوق إلى الخامسة والستين من الرجال لتشغليهم في شتى الأعمال، فزغردت النساء وتهللنا نحن الأطفال بهذا النبأ السار مقلدين أمهاتنا. عندما بدأوا بفرز الرجال للعمل لاحظنا أنهم يضمون من هم أقل سنا من الثامنة عشر إلى المفرزين، ولكننا لم نتوقع أي شيء آنذاك، هكذا تم فرز ستين فردا وركّبوهم تلك السيارات ومضوا بهم، في حين كنا نستبشر بأن يعودوا إلينا بالمال بما يساعدنا في عيشنا هنا، حصل أنهم لم يعودوا إلى هذه اللحظة. هكذا يتمت حكومة العمال والفلاحين العائلات الكوردية المهجرة قسرا. فهذه الجريمة البشعة وصمة عار في جبين الشيوعية. تبين فيما بعد أن عدد الكرد الذين تم قتلهم أثناء تلك الهجرة قد تجاوز مائتي شخص.....

منذ انهيار الإمبراطورية الشيوعية نكتشف يوما بعد آخر المقابر الجماعية ونتفاجأ بجرائم أجرت بحق شعوبها لم تكن بالحسبان.،،،،،،،

لم تقتصر الإبادات الجماعية على الشعب الكردي فحسب، بل تعدته إلى القوميات الصغيرة الأخرى أكثر من غيرها. ربما كان نصيب الكرد أكبر من غيرهم من القوميات.....

كيف اكتشفت المقبرة الجماعية في كازاخستان؟

دعت الحاجة عام ١٩٦٤م إلى بناء مجمع سكني على أرض تلك المقبرة والتي كانت عبارة عن حديقة عادية لا يدري عنها الناس شيئا. أثناء البدء بالحفر ظهرت رفات بشرية؛ مما دعا العمال إلى وقف العمل؛ حيث تبين أنها مقبرة جماعية غير معلن عنها. بعد إعلام القيادة السوفيتية في موسكو بالنبأ تم وقف البناء وأعيدت إلى سابق وضعها كحديقة. بعد انهيار الاتحاد السوفيتي تم نبش الحديقة فوجدت أن عدد الضحايا يتجاوز المئات، فقررت إدارة المدينة بناء متحف في الحديقة وإقامة تمثال معبر للضحايا؛ وذلك تخليدا لذكراهم. ثبت أن عدد ضحايا الكرد في تلك المقبرة يبلغ حوالي خمس وعشرين ضحية.

***عن مقال بعنوان الهجرة القسرية للكرد السوفيت**

للدكتور محمد أحمد برازي